بقوم على الوعد في قومه فيمنعوا ذا شا او ينتقم
في المسايل ابنا سالت وفقك الله عن قولنا في الدعا
يا حليما لا يعجل ويا جوادا لا يبخل ويا عالما لا يجهل ونحو ذلك
من صفات الله تعالى وقلت كيف يصح ان يقال في مثل
هذا منادى منكور والقصد به الى الله تعالى وان كان معرفة
فكيف انتصب وخرج مخرج التنكير وهذا سوال من لم
يتمهر في معرفة اللسان العربي واعتراض من لم يتصور
غرض هذه الصناعة تصورا صحيحا وانا اعلمك ذلك
واشرح لك ما التمسته شرحا يسر وعنك ثوب الحيرة
ويزيل عنك عارض هذه الشبهة ان شا الله تعالى فاقول
وبالله التوفيق ان الوجه في هذا وما اشبهه من صفات
الله تعالى ان يقال فيه انه منادى مخصص وهذه عبارة
غير معتادة عند النحويين وانما جرت عادتهم في نحو
هذا ان يسموه المنادى المشبه بالمضاف والمنادى
المطول اي المطول من قولك مطلت الحديدة اذا
مددتها ومنه اشتق المطل في الوعد ومعنى قولنا
انه منادى مخصص ان حليما وجوادا وعالما صفات
يوصف بها الباري تعالى ويوصف بها المخلوقون
وهي وان اتفقت الفاظها متباينة في المعاني كما انا
اذا قلنا في الباري تعالى انه سميع بصير وقلنا في زيد
انه سميع بصير فالمعنى مختلف وان اتفقت العبارة
لان زيدا سميع باذن بصير بحدقة لانه ذو جوارح
وابعاض مجتمعة والله تعالى عن مثل هذه الصفات جل
عما يصفه به الجاهلون وتقدس مما يقوله فيه المبطلون
وانما نريد بقولنا فيه انه سميع وانه بصير لا يغيب

عنه

عنه شي من خلقه وانه مشاهد لجميع حركاتهم واعمالهم
لا يخفى عنه مثقال الذرة ولا يغيب عنه ما تكنه الصدور
وتختلج به الضماير وكذلك اذا قلنا ان زيدا حي فانما نريد
بذلك ان له نفسا حساسة مقترنة بجسم واذا قلنا في
الباري تعالى انه حي فانما نريد بذلك انه مدرك للاشيا
ويجوز ان يراد بذلك انه موجود لم يزل ولا يزال والعرب
تسمي الوجود حياة والعدم موتا فيقولون للشمس ما دامت
موجودة حية فاذا عدمت سموها ميتا قال ابن ابي الليل والشمس
حية حياة الذي يقضي حشاشة نازع شبه الشمس عند
غروبها بالحي يجود بنفسه وقال اخر يصف النار
وزهر ان نعشتها فهو عيشها • وان لم انعشها فموت معجل
فجعل وجود النار حياة وعدمها موتا ولم يرد بانشاد هذين
البيتين تمثيل حياة الباري تعالى بالحياة المذكورة فيهما
لان ما ذكره الشاعر ان من ذلك مجاز واستعارة وحياة
الباري تعالى وجميع صفاته حقايق لا تشبه بشي من
صفات المحدثات ولا تكييف وانما يوخذ توقيفا وتسليما
لا قياسا وقد اجمع العارفون بحدود الكلام على ان
الاشتراك في الاسما لا يوجب المناسبة بين المسميات
بها وانما يشبه الاشيا بتشاكلها في المعاني لا في الالفاظ
وليس بين الباري تعالى وبين مخلوقاته اشتباه في
معنى من المعاني فاذا ارادوا ان يجعلوا هذه الصفات
مختصة به تعالى زادوا عليها الفاظا تخصصها وتجعلها
مقصورة عليه فقالوا يا حليما لا يعجل ويا جوادا لا يبخل
ويا عالما لا يجهل ونحو ذلك فصارت هذه الصفات
خاصة لا يصح ان يوصف بها غيره لان كل حليم لا بد له

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)